عادات وتقاليد شهر رمضان
في التراث الموصلي

نجلاء عادل حامد(*)

تاريخ استلام البحث ٢٠١١/٦/٢٣

تاريخ قبول النشر ٢٠١١/٨/٤

الملخص:

ميز الله الأزمنة وفضل بعضها على بعض بالنظر إلى ما يحصل فيها من خيرات، وما يكتنفها من ثمرات، فإذا أمعنا النظر في تفاصيل الزمان نجد أن شهر رمضان في الطليعة، فهو خير شهور العام وفيه ليلة القدر ونزل فيه القرآن الكريم، ويتبارى فيه المسلمون بمشارق الأرض ومغاربها في التحضير والتهيئة لاستقبال خير الشهور بالمآكل والمشارب والصدقات وأنواع الزينة والملبس، كل بلد وفق طريقته وعاداته وتقاليده الموروثة الممزوجة بالفرحة والاستبشار والسرور.

وفي ضوء مالدينا من تراث تراكمي، لمجتمع أصيل يجمع مابين الأصالة والحداثة كالمجتمع الموصلي، فإننا سنتحدث عن عناصر ثقافية أنجزها هذا المجتمع عبر تأريخه الطويل، على الرغم من سيادة نمط الحياة الحضرية فيه عموماً، ونتتبع إنجازاته اللامادية المتمثلة في العادات والتقاليد الاجتماعية الخاصة بشهر رمضان المبارك، وهذه المعطيات التراثية، سوف تعطينا فكرة عن الأساليب والطرائق التي نظم بمقتضاها مجتمع الموصل حياته الاجتماعية خلال هذا الشهر الفضيل في شتى جوانبها ومختلف مجالاتها.

وقد ارتأت الباحثة إجراء هذه الدراسة، اعترافا بأن في حياة الشعب العراقي ككل، والمجتمع الموصلي على وجه الخصوص، وفي تقاليده وعاداته ومأثوراته الكثير من التفاصيل الغزيرة التي تحتاج الى بحث ودراسة، وانه من خلال جمع وتوثيق صيغ العادات والتقاليد الشعبية، يمكن الأسهام بشكل أو بآخر في الحفاظ عليها من التغير والنسيان، كجزء مهم من ثروة المجتمع اللامادية.

(*) مدرس مساعد / قسم علم الاجتماع / كلية الآداب.

Ramadan′s customs and traditions in the mosully heritage

Najlaa A. Hamed

The God distinguished the epochs and preferred one on other according to what happen in it from benefits and what Allah surrounded it with fruits , If we consider the details of the epoch we find that Ramadan month in priority , It is the better of world′s months , It has Al-kader′s night and Al-quraan revealed in it , The Muslims compete the whole world in preparation and arrangements to receive the better of months with foods , drinks , handouts , kinds of ornaments and clothing, each country according to its inherited way , customs and traditions that mixed with happiness , a good omen and delight.

According to what we have from accumulated heritage , for original society combined between originality and modernity as the mosully society , We will talk about cultural elements fulfilled by this society during its long history , in spite of the predomination of the urban life pattern in it generally , and we trace its non-material achievements which embody in the social customs and traditions specific to the blessed Ramadan month , These inherited facts will give us an idea on the manners and ways on which mosully society arrange his social life during the blessed month in all its aspects and different fields.

The researcher propose this study in confession of in the Iraqi people life generally , and mosully society specifically , and in its customs , traditions and heritage there is a lot of plentiful details that needs to research and study , and during the combination and documentation the formula of people′s customs and traditions may contribute by one

form or another in conserving it from change and oblivion as an important part of non-material society resource .

مقدمة

يستقبل أهل الموصل شهر رمضان بالاحتفالات و الفرح والمدافع تعبيراً عن سرورهم بهذا الشهر الكريم، حيث تضاء الشوارع والمساجد، ويسهر الصائمون الى السحور لصلاة الفجر، وتضج الأسواق بالبائعين والمشترين بأصناف رمضانية خاصة.

وعلى الرغم من أن شهر رمضان يوحد بين مشاعر المسلمين في كل مكان، فإننا نجد بهجة الشهر الفضيل واضحة على وجوه الناس وعلى حياتهم العامة وتعاملهم مع الآخرين. فإن لهذا الشهر في المجتمع الموصلي عادات وتقاليد قدسية خاصة بهم، يتوارثها الناس عن آبائهم وأجدادهم من خلال التنشئة الاجتماعية.

منها ما تسبق مقدَمُهُ الكريم بالتهيئة والاستعداد له والترحيب به، ومنها مايبدأ مع بدايته، فما إن تثبت رؤية الهلال إيذاناً ببدء الصوم حتى يجتمع الناس في المساجد والساحات العامة يستمعون إلى الأناشيد والمدائح النبوية إبتهاجاً بقدوم هذا الشهر، إلى الشعائر الرمضانية الأخرى في الاجتماع حول موائد الإفطار، وتزيينها بألوان الطعام من الأكلات المحلية، والذهاب إلى صلاة الجماعة والتراويح وختم القرآن الكريم عبر الشهر الفضيل، والحرص على أداء صلاة التراويح التي توحد المسلمين، واصطحاب أبنائهم إلى أدائها لغرض غرس التعاليم الدينية في نفوسهم من الصغر، إلى زيارة (المسحرجي) لإيقاظ النائمين لتناول طعام السحور، إلى تبادل الزيارات من أجل تدعيم أواصر صلة الرحم، وكذلك أعمال البر والخير والإحسان الى الفقراء، وصولاً إلى الاستعداد لاستقبال العيد،وليلة العيد ورؤية هلالهُ.

وهذا ما تحاول الباحثة الوصول إليه عبر أوراق هذا البحث، للوقوف على عادات وتقاليد رمضانية في المجتمع الموصلي، وبحث التفاعل الحاصل بين جوانب الحياة الاجتماعية المختلفة في هذا الشهر، وطرق تنظيم الحياة وفق برنامج يستمر طوال شهرٍ كامل، فضلاً عن إبراز أوجه النشاط والتفاعل الاجتماعي بين أفراد المجتمع الموصلي، القائم على المحبة والتعاون والرحمة التي هي من خصائص هذا الشهر، والتعرف على شخصيات اجتماعية جديدة تظهر (كالمسحرجي) و (المكبر).

وعليه تضمن البحث ثلاثة مباحث مع مقدمة وخاتمة، تناول المبحث الأول الإطار المنهجي للبحث بعنواناته الفرعية، واشتمل المبحث الثاني عادات

وتقاليد تسبق شهر رمضان (استقبال رمضان)، في حين كان المبحث الثالث يتضمن عادات وتقاليد رمضانية في المجتمع الموصلي، فضلاً عن أن خاتمته احتوت أبرز النتائج والتوصيات، مع قائمة المصادر والمراجع.

المبحث الأول

الإطار المنهجي للبحث

أولاً:- تحديد مشكلة البحث:-

تعد العادات والتقاليد الاجتماعية في مجتمعنا العربي والإسلامي والعراقي والموصلي على الخصوص، خارطة اجتماعية ترسم مسيرتنا الاجتماعية على مجمل الأصعدة الحياتية، إلا أنها غالباً ما تأخذ طابع التركيز في مناسبات دون غيرها في أوقات محددة ومعلومة من السنة.

ولعل شهر رمضان أبرز تلك المناسبات التي يتهيأ الناس في الإعداد لهُ والتهئ لاستقباله على جوانب عديدة لعل في مقدمتها إستعدادات دينية تبدأ اواخر شهر شعبان، إلا أن هذه الاستعدادات تكون محصورة داخل المساجد لطابعها الديني.

كما أن كثيراً من الاستعدادات الاجتماعية تصاحب هذه الاستعدادات الدينية دون أن تقترن بها، وتنشط في الأسواق للتبضع، ناهيك عن بعض التقاليد الاجتماعية والدينية التي تنشط عندما يدخل شهر رمضان، كصلاة التراويح والزيارات الاجتماعية والألعاب الشعبية التي تبدأ بعد صلاة التراويح.

وغير ذلك كثير في جميع البلدان الإسلامية، ولما كان لكل مجتمع خصوصية ثقافية على الرغم تشابه مجتمعاتنا العربية والإسلامية من حيث الثوابت، إلا أنه لما للخصوصية من حضور واقعي، يجعلنا نسلم بها كمتغير ثقافي يميز كل مجتمع دون غيره.

ومن هذا التميز تحاول دراستنا أن تسلط الضوء على تقاليد مجتمع الموصل الخاصة بشهر رمضان المبارك فتتمحور مشكلة البحث في الإجابة عن التساؤلات: ما أهمية شهر رمضان في الحياة الاجتماعية في المجتمع الموصلي ؟ ما عادات وتقاليد استقباله والتهئ له ؟ ما تأثير هذا الشهر العظيم في زيادة التلاحم الروحي والتفاعل الاجتماعي على المستوى المجتمعي؟

ثانياً:- أهمية البحث:-

تكمن أهمية البحث في جانبين:-

١. أهمية نظرية: تفيد في التوثيق لعادات وتقاليد شهر رمضان المبارك في مجتمعنا الموصلي تضاف إلى ما كتب من دراسات في هذا الجانب.

٢. أهمية تطبيقية: فيما تأتي به من نتائج قد تفيد الجهات المسؤولة عن تنمية المجتمع أو تخطيطه في الإفادة منها.

ثالثاً:- أهداف البحث:-

يهدف البحث إلى:

١-٢ التوثيق الاجتماعي لعادات وتقاليد مجتمعه لتهددها الاندثار في ظل متغيرات اجتماعية وحضارية يعيشها المجتمع الموصلي.

١-٣ التعرف على أبرز العادات والتقاليد المتعلقة بشهر رمضان في المجتمع الموصلي.

رابعاً:- نوع الدراسة:-

يتحدد نوع الدراسة على أساس مستوى المعلومات المتوفرة لدى الباحث وعلى أساس الهدف الرئيسي للبحث[١]، وهذا البحث دراسة وصفية تستهدف تقرير خصائص ظاهرة ثقافية معينة، وهي (العادات والتقاليد الاجتماعية بشهر رمضان)، وذلك بجمع الحقائق وتفسيرها لاستخلاص دلالاتها[٢] الاجتماعية.

خامساً:- منهج البحث:-

لما للعادات والتقاليد من مؤشرات سلوكية قد تتباين فإن الأمر يقتضي اعتماد منهج يتواءم والسلوك الاجتماعي ولعل أنسب المناهج تلك التي تحاول فهم السلوك الاجتماعي ضمن إطار تأويلي، وفي هذا الاتجاه يصب منهج التحليل الاجتماعي.

وقد اعتمدته الباحثة لأسباب أولها أنه وحسب تصور ماكس فيبر ((قائم على التفسير التنبؤي للسلوك[٣])) مما ينطبق على موضوع البحث (العادات والتقاليد) التي تقتضي فهماً أولياً قبل اللجوء الى التغيير الاجتماعي.

والى جانب هذا المنهج أقتضى الأمر الاستعانة بالمنهج الانثروبولوجي بوصف الباحثة جزء من المجتمع المدروس .

سادساً:- المفاهيم العلمية:-

إن تحديد المفاهيم وتعريفها بدقة يعد أمراً ضرورياً، كونها المنطلقات الأساسية التي تمكن القارئ من فهم الموضوع، هذا إلى جانب أبراز مقاصدها في إطار هذه الدراسة، لذا أقتضى الأمر تحديدها بدقة. وفي هذا المحور سنحدد المفاهيم الآتية:-

١. **العادات:** كل ماهو مؤيد ومقبول من أساليب السلوك التي تكونت ولا تـزال آخذة في التكوين عند الناس ليهتدوا بها في معاشهم وتختلف بالطبع من مجتمـع إلى آخر(٤).

وهي أنماط سلوكية تعده الجماعات الاجتماعية صحيحاً وطيباً وذلـك بسبب مطابقته للتراث الثقافي القائم(٥).

أما التعريف الإجرائي: فهي أساليب الناس في التفكير والعمل، وسلوك جمعـي متكرر، تحضى بالقبول والتأييد من الجماعة، والتي تعمل على تلقينها لإفرادها، والمحافظة عليها بنقلها من جيل إلى آخر، كما أنها تمثل قوة معيارية وظـاهرة تتطلب الامتثال الاجتماعي، الأمر الذي يبرر توقيع جزاءات علـى المخـالف الذي يتعدى على حرمتها، فهي بذلك رائدة للقانون.

٢. **التقاليد:** عادات مقتبسة اقتباسا رأسياً، أي من الماضي إلى الحاضر، ثم من الحاضر إلى المستقبل، فهي تنقل وتورث من جيل الى آخر، ومن السلف إلـى الخلف على مر الزمان(٦).

وهي أنماط سلوكية وطقوسية يتمسك بها الأفراد نظراً لتأكيـدها علـى أهمية الماضي السحيق ولقدسيتها ومنزلتها الرفيعة عند الأفراد ذلك أن الأسلاف قد تحلوا بها والتزموا بنصوصها ومفرداتها فجلبت لهم الخير والرفاهية ومكنت المجتمع من تحقيق التآلف والوحدة والمحبة(٧).

أما تعريفها إجرائياً: نوع من العادات التي تمارس ضغطاً شديداً علـى أفـراد المجتمع، ولكنها في الوقت نفسه تنشأ من الاتفاق الجمعي والرضا من أعـضاء الجماعة،وتستمد قوتها وتفرض سلطتها من خلال سطوة الرأي الجمعي العـام، الذي يعاقب من يخرج عليها بالعقوبات البالغة القسوة، والتي تفرضها الجماعـة على من يخرج على تقاليدها، وبذات الوقت فإنها من أهم العوامل التي تـضمن تماسك الجماعة الداخلي.

٣. شهر رمضان:- وهو شهر الصوم عند المسلمين أو الشهر التاسع في السنة الهجرية، مأخوذ من رمض الصائم يرمض إذا حر جوفه من شدة العطش(٨).

أما تعريفه إجرائياً: فهو خير شهور العام، وفيه ليلة القدر ونـزل فيـه القـرآن الكريم، ويتبارى فيه المسلمون بمشارق الأرض ومغاربها في التحضير والتهيئة لإستقبال خير الشهور بالمأكل والمشارب والصدقات وأنواع الزينـة والملـبس، كل بلد وفق طريقته وعاداته وتقاليده الموروثة الممزوجة بالفرحة والاستبـشار والسرور.

المبحث الثاني
عادات وتقاليد تسبق شهر رمضان
أولا:- التبضع:-

مع نهاية شهر شعبان، ترى العيون أشياء جديدة في الأسواق، لم تتوفر في أشهر السنة الأخرى، وتشم الأنوف روائح تعبق البيوت والأزقة، تذكرهم بأيام رمضان، تلك روائح الهيل، والدارسين، وأنواع التوابل.....

فلشهر رمضان قدسية خاصة لدى أهالي الموصل، وهم يحترمونه ويتهيئون لمقدمه قبل مدة طويلة، إذ تتأكد ربة البيت من توفر المواد الغذائية الخاصة به، مثل الرز والسمن والشاي والقهوة ونوم البصرة، والزبيب والقيسي[٩]، والتين اليابس، واللوز والكشمش وماء الورد والهيل والعطاريات الأخرى، فضلاً عما هو متوفر لديها من المئونة السنوية من البرغل، والكشكا[١٠]، والنيعمي[١١]، والعدس والطحين[١٢].

فيما يقترب شهر شعبان من نهايته، يبدأ الناس بالتحضير لشهر رمضان، فترى الناس يذهبون إلى الأسواق لشراء الحاجيات الخاصة بهذا الشهر[١٣]. حيث تضج أسواق المدينة بما تعرضه حوانيت التجار من لحمٍ و رز و سكر و شاي ..... وبذلك فإن معظم الناس يزيد إنفاقهم في رمضان زيادة ملحوظة لتموين المنزل بما يتطلب السحور والفطور. ويبدأ بائع البقلاوة[١٤] والزلابية ولقمة القاضي (عوامي[١٥]). وحلاوة السمسمية....الخ بمد مناضدهم المستطيلة، وعليها صواني الحلويات، والمواعين[١٦] والموازين والقناديل..... وعلى إمتداد أرصفة الأسواق، ودكات الدكاكين[١٧].

ولما كان المؤمنون حلويين فإن البيوت تزود بكل ذي طعم حلو كالتمر والزبيب لعمل الشربت، سيما إن كان الفصل صيفاً فينقع ويدق ويوضع في كيس _الشال[١٨]_ مع النعناع ويضاف إليه الماء. ويتجمع العصير في إناء أسفل الكيس الذي يعلق عادة من أعلاه، بأربعة كلاليب، وهناك شربت تمر الهند فمنقوعها يسهل عملية الهضم ويمنع الإمساك المعوي ويطفئ العطش ويزيل الصداع والدوخة[١٩].

ويعد أيضاً ألطرشي والمخللات بأنواعها المختلفة، والزيتون الذي يفضل أهل الموصل صناعته في البيوت، وغيرها من الأكلات التي تحضر قبل بدء شهر رمضان بوقت كافٍ لكي تكون جاهزة منذ أول أيام رمضان.

كما أنهم يوزعون منها على الجيران والمقربين، وعلى أرواح موتاهم وبذلك يترحم الآكلون على أرواح من وزعت لأجلهم ويتم بذلك الثواب. ويعبر

هذا التقليد، عن نمط من العلاقات التي كانت تسود جماعات الجوار وتقوم على أسس المحبة والتضامن والتماسك الاجتماعي.

ثانياً:- الترحيب برمضان:-

وبعد أيام وفي ليلة الجمعة الأخيرة من شهر شعبان يستعد الناس للترحاب بشهر رمضان، فيجتمعون في المساجد وصحونها بعد صلاة المغرب. وقبيل موعد أذآن العشاء، ويصعدون الى المآذن ويقفون في أحواضها وحول القباب، ويبدأ المكبر[٢٠]، بالتهليل والتسبيح ثم يقرأ إحدى القصائد في مدح الرسول (صلى الله عليه وسلم) بصوت عذب ولحن مناسب شجي. ومابين مقاطع القصيدة يردد الجميع:

مرحباً مرحباً يا غمضان[٢١] ياشهر الترويح وعليك السلام
مرحباً مرحباً يا غمضان ياشهر الغفران وعليك السلام
مرحباً مرحباً يا غمضان ياشهر التسابيح وعليك السلام
مرحباً مرحباً يا غمضان ياشهر القرآن وعليك السلام

ويدور الفانوس عدة دورات حول الحوض العلوي من مئذنة جامع النبي جرجيس[٢٢]، معلناً آذان العشاء لجوامع المدينة ومساجدها فيؤذن لصلاة العشاء وينزل المرحبون[٢٣].

ويطلق الطوب الذي يعده موقع الموصل في رأس الجسر الحديدي، ثلاث إطلاقات، عند رؤية هلال رمضان، إيذاناً بقدوم الشهر الفضيل[٢٤].

ثالثاً:- التحري عن الهلال:-

لشهر رمضان، طعم، ولون، ورائحة، تشعر بها حواس المسلمين منذ غرة شهر شعبان، فالاستهلال لرؤية هلال شهر شعبان ضروري لضبط آخره، ومقدمة لازمة لواجب الشخوص لاستهلال شهر رمضان[٢٥].

كما أن الناس يمضون ليلتين أو أكثر في مراقبة هلال رمضان، وتعرف الليلة التي يتوقع فيها بدأ شهر ((رمضان)) بليلة ((رؤية الهلال)).

ففي مساء الليلة الأخيرة من شعبان _ليلة الاستهلال _ يشاهد أكثر الرجال خارج بيوتهم، وعلى المرتفعات والربوات، وفوق سطوح المنازل أو المساجد، يشرئبون وهم فرحين ــ بأعناقهم نحو مغرب الشمس، يستجدون الأفق لمحة حبيبة من خيط جبين الهلال، والهلال يتمنع خلف نقابه البنفسجي، وحتى إذا ما رؤي الهلال من عيون المحظوظين، وثبتت الرؤية الشرعية، تعالت البشائر، وطفحت الوجوه بالبشرى ولاح على وجوه المسلمين بريق نور هلال شهر الله، رمضان المبارك، ونطقت الأسارير والألسن بالنشيد:-

حيت شهر الله والرحماء
يامرحباً بالطلة الغراء
هلت لياليك الحسان وأقمرت بالخير والبركاء، والنعماء
بك ليلة القدر المشرفة التي فاقت على الآلاف بالعلياء
فيها يطل رضا الإله لعبده
ويجاب مطلوب، وكل رجاء
فاضت على الأرض، والسماء وغيرها بسامح ومحبة وإخاء
وعلى رحاب الأرض هبت نعمة قدسية، بالآلي، والآلاء...[٢٦]

وتكفي شهادة مسلم واحد في رؤية الهلال، وإن لاح لبعضهم ذهب إلى المحكمة الشرعية حيث القاضي منتظر شهود الإثبات فيشهد الرآؤون ويعلن عن ميلاد الشهر الجديد[٢٧].

وبذلك يحدد ((غرة رمضان[٢٨])) ويوقع الإيذان بالصوم، وأما في أيامنا هذه فإن الراديو والتلفاز قد تكفل بنقل خبر هلال رمضان بعد ساعات من بزوغه[٢٩].

وبذلك يبدأ الناس بالاحتفال بشهر رمضان الذي كان الاهتمام به يجري على الصعيدين الرسمي والشعبي، فكانت الحكومة تبادر عند حلوله إلى توزيع الصدقات على الفقراء والمحتاجين، وتعنى بالمساجد فتضيئها ليلاً بالمصابيح[٣٠]. وبعد دخول الكهرباء إلى المنازل واختراع التلفزيون والراديو، تم تخصيص مساحات واسعة من البث الإعلامي الإذاعي والتلفزيوني للبرامج الدعوية والدينية فهناك ساعات للقرآن وأوقات مخصصة للحديث الشريف وللسهرات الدينية، والندوات الحوارية.

وشعبياً يُعَدُّ شهر رمضان من الشهور التي تزدهر فيها روح التعاون بين المواطنين، الذين يستقبلون رمضان بالاحتفالات والفرح تعبيراً عن سرورهم بهذا الشهر الكريم،حيث تضاء الشوارع بالفوانيس وتنتشر بينهم عبارات الترحيب والسرور، وتمتلئ المساجد والساحات العامة ليستمعون إلى الأناشيد والمدائح النبوية ابتهاجا بقدوم هذا الشهر. وتنتشر اللافتات التي تحتوي عبارات الترحيب والسرور في الشوارع والأسواق وتزين باللافتات التي تحتوي آيات وأحاديث وأقوالاً تتعلق بالمناسبة المنتظرة.

المبحث الثالث
عادات وتقاليد شهر رمضان في المجتمع الموصلي

أولاً:- حركة السوق في شهر رمضان:-

في الأيام العشر الأولى من شهر رمضان، تكون الأسواق بطيئة الحركة، قليلة البيع والشراء[٣١]. وتغلق المطاعم والمقاهي كافة إحتراماً واجلالاً، وتصرح البلدية لعدد منها بالعمل لخدمة الغرباء وأبناء الطوائف الأخرى[٣٢]. ويتضح بذلك بان الموصل قد تعايشت في ظلها القوميات المتعددة، فإلى جانب المسلمين، عرفت الموصل المسيحيين واليهود، وقد كان لهم محلة خاصة بهم. ويتضح أيضاً بان اليهود والنصارى، كانوا يمارسون حياتهم اليومية وطقوسهم الدينية بحرية تامة، وأن الدولة كانت تتدخل لتنظيم العلاقة معهم ومنع الأذى عنهم وحل المشكلات الخاصة بهم[٣٣].

وتكتسب الشوارع منظراً كئيباً وتغلق معظم المحلات أبوابها، ففي النهار ينام الناس إلى الظهر[٣٤]، خاصة الذين ليس لديهم دوام في دوائر الدولة، ويعود الازدحام اليها كالعادة في فترة بعد الظهر، وتفتح المحلات أبوابها. ويذهب الرجال والأولاد الى الجامع عصراً لسماع الوعظ[٣٥]، فتعم الحركة في شوارع المدينة. ومن الشائع في رمضان رؤية التجار في متاجرهم يتلون آيات القرآن أو يؤدون الصلوات أو يوزعون الخيرات على الفقراء[٣٦].

أما عن الحمامات[٣٧] فإنها تعمل بنشاط ليل نهار لخدمة الصائمين، وتزدحم ليلة قدوم الشهر وفي ليالي عيد الفطر المبارك[٣٨].

ففي الليالي الأخيرة من رمضان ــ وبخاصة ليالي العيد ــ تفتح الحمامات، وتزدحم أبوابها وقاعات الجلوس بالمنتظرين لدورهم.

ويلاحظ أيضاً أن الأسواق التجارية في الأسبوع الأخير من شهر رمضان تعمل ليلاً حتى دخول الفجر، والعمل ليلاً سببه الطلب الكثير مع صعوبة الاشتغال نهاراً مع الصيام (وبخاصة بالنسبة للخياطين وصناع الأحذية) ولذا يعول على الليل لقضاء أغلب الأعمال، فيعاود بعض أصحاب الحرف الذهاب الى دكاكينهم ومحلاتهم لإستئناف العمل بعد الإفطار مع صناعهم. كالخياطين وصناع الأحذية. كل ذلك لتلبية الطلبات المنهالة عليهم نهاراً إستعداداً لإستقبال العيد بالألبسة والأحذية الجديدة[٣٩].

كما تنشط أعمال الحلاقين (المزين) تزدحم محلاتهم بالرجال والأولاد في الليالي الأخيرة من رمضان، فكل الناس تريد أن تستقبل العيد وهم محلوقين[٤٠]. وتكون الحركة دائبة، أناس تذهب الى الأسواق لشراء ملابس

العيد، وأناس تزدحم عند الخياطين والحلاقين والحمامات[٤١]. وتنتهي هذه الحركة المستمرة في الأسواق والحمامات والحلاقين بحلول عيد الفطر المبارك.

ثانياً:- أكلات ومشروبات رمضانية:-

تحفل موائد (الإفطار) بأكلات عديدة، متنوعة، فيها الكثير من الأناقة والدسومة، ومختلف الطعوم والاريج، بعضها موسمي لايطبخ إلا في رمضان، وبعضها تقليدي، ويعتنى بالطبخ والرصف على الموائد (السفرة) أو (الصينية)، كما وان الأكل في رمضان يستهلك كمية كبيرة من السمن (الدهن) والسكر والكشمش والتوابل (البهارات) لذلك فإن هذه المواد ترتفع مبيعاتها إلى أضعافها في أوآخر شعبان و رمضان[٤٢].

وتعد ربة البيت بمساعدة بناتها وكناتها طعام الإفطار الذي يجب أن يكون متميزاً، ويتضمن عدداً من الأكلات والمقبلات، ومنها ماكان يقدم قديماً مثل السماق[٤٣]، واللبنية[٤٤]، والكشك[٤٥]، والزبيبية[٤٦] أو القره زنكي، والحميس[٤٧].....الخ، ومنها الأكلات الحديثة مثل ألتمن والدولمة والبرغل والكبة وعروق التنور والشيخ محشي والعدس وأنواع من المرق اللذيذ، وأنواع من المقبلات الزلطة والطرشي والمخللا[٤٨] [٤٩].

ويلاحظ بان أفقر الناس، لاتنقص مائدته عن ثلاثة أشياء، وعند المسلمين عقيدة راسخة، بان شهر رمضان هو شهر الخير والبركة، وأنه يحل ورزق المسلمين معه، فلاخوف ولاعوز في رمضان،والرجل يخرج لطلب الرزق (على باب الله) ويعود الى بيته موفور الرزق، بما فيه الكفاية، يحمل معه ما يشتهيه لنفسه وعياله، مما رزق الله[٥٠].

وفي الغالب يبدأ الموصليون في الإفطار بمشروبٍ مثلج في شهر الصيف وفي الغالب ما يكون هذا المشروب هو الزبيب، أو العرقسوس نظراً لتميزه في أنه يمنع العطش نهاراً في الصيف، في حين تتناول بعض العائلات مشروبات مثل تمر الهند، أو الشنينة التي تهيأ من مزج الماء مع اللبن الرائب فتصبح شراباً منعشاً مع الثلج[٥١].

ولا تنسى ربة البيت أن ترسل إلى الجيران (طعمي) من أجود الذي أعدته، فتقوم بسكب صحون خاصة للمجاورين وبالأخص الفقراء من سكان الحي وهذه العادة متبعة في معظم أيام رمضان.

وهذه الأعراف لها مدلولها البارز في إحداث الألفة بين المواطنين وزيادة التعاون فيما بينهم، ومحاربة الفقر والعوز بطريقة عملية. وهكذا يجد الفقير والمعوز الذي لايملك قوت يومه وقد توفر لديه أكثر من لون واحد من ألوان الطعام في كل مساء ولهذا كان من النادر أن تجد بيتاً واحداً مهما كان

معوزاً، يخلو من الطعام في أمسية من الاماسي، ولا يقف توزيع الطعام عند هذا الحد بل يتعداه إلى الفقراء والأغراب الذين يجدون مأواهم في المساجد حيث يرسل أليهم الطعام ومن أنواع عديدة كل مساء(٥٢).

كما أنها لاتنسى أن ترسل كذلك إلى بناتها المتزوجات القريبات من دارها لتظهر حبها لإبنتها أمام بيت أحماها(٥٣)، ولتعرض شطارتها على نسابتها(٥٤). وهذا ما يفسر ازدياد طبيخ العوائل، ولأصناف متعددة، ولكمية أكثر من المعتاد. ويفسر أيضاً اهتمام النساء بطريقة تهيئة وإعداد الطعام اهتماماً كبيراً، حيث أن المجتمع ينظر الى ((المرأة التي لاتجيد الطبخ امرأة ناقصة جاهلة(٥٥))).

وعندما يحين موعد الإفطار يجتمع أفراد العائلة على مائدة الإفطار، الذي كان يعلن عنه المؤذنون بعلم أخضر يلوحون به أو بالفانوس إيذاناً بموعد الإفطار، ثم يطلق الطوب فيما بعد إطلاقه واحدة عند كل موعد إفطار(٥٦).

يتصدر الأب(٥٧) مائدة الإفطار(٥٨)، ويجتمع جميع أفراد العائلة على مائدة واحدة، برغم نمط الأسرة الذي كان سائداً وهو نمط الأسرة الممتدة التي تضم عدداً كبيراً من الأفراد. ويكشف ذلك عن بساطة المعيشة وعن وجود الترابط بين أفراد الأسرة الواحدة. وعن قوة السلطة الأبوية التقليدية وتزايد إشرافه وتضائل الفواصل والمسافات الاجتماعية والثقافية بينه وبين أفراد أسرته.

وتعد برامج الإفطار الجماعية الأسرية، من أهم ما يميز السلوك العام للأسرة المسلمة الموصلية. وقد كان لدى أفراد المجتمع معتقد مؤداه أن البركة تحل بين أفراد الأسرة، عندما يتناول أفراد الأسرة طعامهم في وقت واحد، ومن قدر مشترك وواحد لكل الأفراد(٥٩).

ويبدأ الإفطار عادة بتناول كل صائم قطعة تمر ويشربون أحد أنواع العصائر ثم يتناولون طعامهم(٦٠).

أما بالنسبة (للسحور)، فإن الجميع ينهض على صوت المسحرجي، وهو رجل فقير يدور في المحلات صائحاً وهو يدق على الطبلة: (أقعدوا(٦١)عالسحور)(٦٢). فيقوم في وقت السحور داعياً ومذكراً ومحرضاً على السحور(٦٣).

ويتسحر استعمالاً للسنة، وهو أدعى الى إمضاء الصوم لمعنيين، أحدهما: عودة بركة السنة عليه، والثاني: التقوية بالطعام على الصيام. وعن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) أنه قال: "تسحروا فإن في السحور بركة"(٦٤).

وقد تنهض ربة البيت مع كنتها بوقت يسبق السحور لإعداد الطعام وطبخه كما تفعل في الإفطار بدون كلل أو ملل. وفي السحور يتجنب الصائم تناول الطعام الذي يسبب العطش كمشتقات البرغل والطرشي والأملاح[٦٥]. أو يتناولون بقايا الفطور أو الحلويات، وكل أنواع الطعام الذي لابد أن يكون ذا خصائص لاتسبب العطش أثناء الصوم.

وما إن ينتهوا حتى يتناولوا الماء، ويتوقف الجميع عن الشرب والأكل عند سماع المسحرجي ثانية " الاحترام.....أمة محمد.....الاحترام. ثم أصبح المؤذن يقوم بهذا الواجب[٦٦].

ثم يقصد المصلون منهم المساجد ليؤدوا صلاة الصبح ثم العودة الى البيوت لينام وا بعد السهر الطويل وحتى الضحى أو الظهيرة فينزل من يشاء إلى السوق للقيام بمزاولة أعماله أن كانت لديه أعمال[٦٧].

ثالثاً:- الترفيه والمقاهي في رمضان:-

شهر رمضان موسماً حافلاً بالمراسيم الممتعة، ففيه تبين مختلف مظاهر التسلية واللهو البريء، وتتبادل الزيارات وتتم اللقاءات وتقدم التهاني والهدايا[٦٨].

ومن أول ليلة من شهر رمضان، تبقى المقاهي مفتوحة الأبواب، تضج بالرواد حتى وقت الإمساك، بعض هذه المقاهي يقتصر على السمر[٦٩] والحكايات[٧٠][٧١]، (اللطائف) الدينية والاجتماعية، والقصص (السوالف)، والتمثيل[٧٢] ورواده أكثرهم من الكهول والشيوخ وبعض الشبان الميالين لمثل هذه المجامع[٧٣]. يعقدون اللقاءات الاجتماعية ويستمعون الى رواة القصص الشعبية الذين يسلونهم في المقاهي كل ليلة في هذا الشهر[٧٤].

أما البعض الآخر من المقاهي-وهي الأكثر- تمارس فيها لعبة (الفر)، وهي من التقاليد التي لايحاد عنها، وهذه اللعبة مباحة لجميع الأعمار في هذا الشهر، وتختفي تماماً مع نهايته،ولم ترى قطعاً في أي يوم أو ليلة أو مناسبة طيلة أيام السنة، والتي لاتلعب إلا في المقاهي، ورواد هذه المقاهي أكثرهم من الشباب، الذين يحلو لهم أن يمارسوا هذه اللعبة بعد الإفطار. وذلك لوجود وقت الفراغ وقلة الأعمال خصوصاً بعد الإفطار[٧٥].

ولعبة (الفر) لعبة شعبية تشابه لعبة المحيبس البغدادية وتضم فريقين يتوزعان يميناً ويساراً، تتوسطهما صينية صغيرة تحتوي أحد عشر فنجاناً نحاسياً، ويقوم الفريق الأول بوضع محبس أو قطعة نرد تحت أحد هذه الفناجين المقلوبة بعيداً عن أنظار الفريق الثاني، ويحاول أحد أفراد الفريق الثاني العثور على المحبس بأسرع وقت بقلب عدد من الفناجين، وإذا ما عثر على المحبس

بقلب عدد قليل من الفناجين ينتقل الدور إلى الفريق الثاني وتسجل نقاط للفريق بعدد الفناجين الباقية. أما إذا عثر على المحبس في أول اللعب بعد قلب الفنجان الأول، فإن عدد النقاط التي سوف يسجل لفريقه سيكون كبيراً، أي (عشرة) فيصيح الفريق بصوت عالي وبإبتهاج (عشرااا) أو (تسعاااا) ويحق للفريق الرابح الاستمرار في لعب دورٍ آخر[٧٦].

وللعبة الفر فرسانها المشاهير في كل عصر ويمتاز هؤلاء بالفراسة وسرعة الملاحظة ورهافة الحس. ويتبع كل واحد من هؤلاء جماعة يختصهم. ويعدون من أركانه ويجلس هو كالمستشار متوسطاً إياهم ولا يلعب إلا إذا وقع فريقه في حرج أو أنه يلعب أول صينية عند البداية ويلعب الأخيرة[٧٧].

وتجري المراهنات على هذه اللعبة، بخسارة الفريق (الخسران) بكلفة شراء كمية متفق عليها من البقلاوة أو الزلابية، بالإضافة الى تسديد أثمان أكواب الشاي، لصاحب المقهى، بما يساوي عدد اللاعبين من الفريقين، أو يتجاوزه الى عدد آخر من الجالسين حولهم (على التخوت) من مشجعي الفريقين، وكثيراً ما يكون توزيع صاحب المقهى (القهوجي) لهذه الأكواب رمزياً، أي أقل من عدد اللاعبين وأنصارهم، ولكنه يستلم أثمانها كاملة، وهذا يحدث برضا من اللاعبين، ويقصدون منفعة (القهوجي) الذي يسهر على خدمتهم، ويلبي طلباتهم من ماء وأكل وسجائر وقهوة، ومن تنظيف المكان من النفايات، من أعقاب السجائر وقشور الفواكه وفضلات الطعام، معتبرين شهر رمضان وألعابه موسماً سنوياً يحصد فيه أصحاب المقاهي ثمرات سهرهم وأتعابهم مضاعفة ووافية، تعوضهم عما تراكم عليهم من ديون أيام الكساد وتسدد متطلبات رمضان وعيدَه لهم ولعوائلهم[٧٨].

وممّا يلاحظ على هذا النوع من الألعاب، إنتاج علاقات مباشرة، واستجابات عاطفية مشتركة، تجعل الفرد يشعر أنه يعيش في شعور الآخرين وكأنه جزء لايتجزأ من المجموع. ويحدث عنها تجاذب وإندماج بين أعضاء الجماعة. وهو مايجعل أفراد الجماعة يصرخون بوقت واحد وبصوت عالٍ وبابتهاج. ومعنى ذلك أنها ذات قيمة إجتماعية من شأنها أن تحدث مردوداً اجتماعيا. فهذه المظاهر السلوكية.. تعدُّ من العناصر التي تربط أفراد الجماعة وتشعرهم بالتلاحم والتقارب الروحي والجسدي.

كما تعمر في هذا الشهر مجالس السمر والسهر، في بيوتات الشخصيات البارزة في المدينة، يؤمها الرجال الذين لايليق لذقونهم المقاهي، وليس لهم رغبة في ملاهيها، وكل مجلس من هذه المجالس يضم فئة أغلبها ذات ميول متقاربة، فتكون أحاديثها ومذكراتها في الأمور التي تلاءم هواياتهم، فمجالس

تدور أحاديثها في مجال المسائل الدينية، وآخرون في مجال قضايا المجتمع وما حدث فيه من تطور ومجالس تعنى بالقصص والحكايات والطرائف والنكات، ومجالس تتكلم عن الإسفار، والأدب، والسياسة، وأخرى في أمور التجارة والزراعة والأسواق[٧٩].

إن أهمية تلك المجالس التي كانت تعقد في المدن العراقية ومنها الموصل لاتتمثل في كونها ضمت النخبة المثقفة في ذلك العصر الذي قل فيه المثقفون فحسب، وإنما في تقاليدها الثابتة المتمثلة في الحرص على عدم الحيلولة بين إنسان وحضورها والمشاركة ــ إن شاء ــ في أحاديثها، أو الاكتفاء بسماع مايدور فيها من حوارات وأفكار. وغلب على هذه المجالس، أحاديث أكثر الناس ثقافة ومعرفة بحسب مقاييس عصرهم. صحيح أن اهتمامات الأسرة المضيفة، أو مهنتها الموروثة كانت تؤثر في اتجاهات الحديث والحوار، بل في نوع الحضور نفسه، الا أن الطابع الثقافي والأدبي منه بوجه خاص، ظل هو السائد في تلك المجالس[٨٠].

ولا يخفى أهمية هذه المجالس، بوصفها باعثاً لهم للاطلاع على الأعمال الادبية البارزة، والتغني بمآثر السلف، ومجرد محاولة محاكاتها، والتأثر بها لهو من أهم الأسباب التي لعبت دوراً مهماً في إثارة الوعي الفكري في مدينة الموصل، والعراق بشكل عام.

أما النساء فحضهن قليل جداً من مناهج ليالي رمضان، وكثير من متاعبه، ففيه تتضاعف أتعابهن ومجهوداتهن، فنهارهن (ثرم بصل ولحم، وطبخ ونفخ) ولياليهن غسل الصحون والقدور، وغسل الملابس، وأمنياتهن الحصول على فترة من الوقت للراحة والنوم[٨١].

أما عن الأطفال فإن أوقاتهم في شهر رمضان مملوءة بالحيوية والمتعة بعيدة عن الملل الرتيب. فعند طلوع النهار يفيق بعض الأطفال، مادين ألسنتهم ليثبت كل منهم للآخرين بأنه صائم، فمن كان لون لسانه أبيضاً فهو صادق، ((ودليل صدقه هو الجفاف الذي يرتسم أيضاً على وجهه))[٨٢]. أما إذا كان لون اللسان احمراً فهو كاذب ويتعرض لسخرية الأطفال وهم ينشدون[٨٣]:

الصايم شيشي والمفطغ اكديشي
الصايم عالصندوق والمفطغ عالخازوق[٨٤]
الصايم جلبي والمفطغ خشبي
سلط الله عالمفطغ ألف حيي وعقبي[٨٥]
الصايم عالبناغة والمفطغ ياكل فاغة

ويحلو للأطفال أنتظار سماع الطوب يومياً عند الإفطار، وذلك قبل استعمال مكبرات الصوت في الجوامع. ويقفون لذلك في تقاطع الأزقة وعلى أرصفة الشوارع لسماعه، ثم تنار المآذن ويرفع أذان المغرب. فيركضون فرحين الى بيوتهم يتصايحون أفطغوا أفطغوا أذن....أذن.... دق الطوب... دق الطوب[٨٦].

وبعد الإفطار يلاحظ الأطفال يدورون على بيوت محلتهم، سبغين عليهم أجمل الصفات والكلمات[٨٧]، أملاً في الحصول على عانة[٨٨]، ومن الكلمات التي يرددونها فرحين[٨٩]:

يالعايدة يالعايدة بابكم جبير وعالي يالعايدة
يالعايدة يابابوه
جينا على أبو جاسم ينطينا يابابابوه للعايدة
جينا على عمي كاعد يصلي يابابابوه بالعايدة
اللي تعشى ويالعصملي يابابابوه بالعايدة
يالعايده يالعايده بابكم جبير وعالي يالعايدة
يابابابوه للعايدة

وهكذا يدخل شهر رمضان لقلوب وعواطف وبيوت الناس من خلال أناشيد الأطفال الذين يصرون على الصوم، ويحاول الآباء الحيلولة دون المضي بصيامهم حرصاً على صحتهم، ولهذا يطلبون منهم شرب الماء بعد إغلاق عيونهم وبذلك فإن رمضان لايراهم. أما إذا أصر الطفل على الصوم فإنهم يسمحون له بذلك حتى وقت الظهر، وفي اليوم التالي يصوم أيضاً إلى الظهر لتقوم بعد ذلك الأم بخياطة هذين الوقتين وبذلك يحصل الطفل على صيام يوم كامل من رمضان الذي يرون فيه أجمل أوقات السنة.

رابعاً:- الشعائر الدينية، وحال الجوامع في رمضان:-

تشهد الجوامع والمساجد حركة دائبة في الليل والنهار من شهر رمضان، وعادة يقوم معظم الناس بأداء الصلاة في المساجد معظم أوقاتها، ويلعب المسجد دوراً هاماً في حياة الناس وبخاصة في شهر رمضان، إذ تقام مجالس الإرشاد والوعظ بعد صلاة الظهر والعصر يومياً[٩٠].

ويبدأ معظم الرجال بأداء الصلاة في المسجد، في معظم أوقاتها، كما إنهم يكثرون من الجلوس والتجمع في ساحة المسجد، وتلاوة القرآن الكريم[٩١]. ويقرأ البالغون القرآن الكريم بمعدل جزء واحد كل يوم، فإذا ما أنتهى الشهر يكونون قد ختموا القرآن[٩٢].

فشهر رمضان هو شهر القرآن لقوله تعالى ﴿ شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان....﴾ [سورة البقرة: آية ١٨٥]. ويحرص أبناء الموصل على تعليم أولادهم القرآن ويعتنون بتحفيظه[٩٣] وبخاصة في شهر رمضان، فتنظم المسابقات لحفظ القرآن الكريم طوال الشهر تشجيعاً.ويحمل حفظة القرآن على الأكتاف ويطاف بهم في أزقة المدينة في مظاهرات حافلة تشجيعاً لأمثالهم.

ويؤدون الرجال بعد الفطور صلاة العشاء ويضيفون إليها صلاة ((التراويح)) وهي الصلاة التي يصليها المسلم في رمضان بعد صلاة العشاء. تتألف صلاة التراويح من عشرين ركعة ووقتها في الفترة الممتدة بين صلاة العشاء والوتر[٩٤]. ويصلي الأشخاص عامة صلاة التراويح جماعة في المسجد حيث يؤمهم إمام فيتابعونه في حركاته. أما المرأة فإنها تصلي في بيتها، وهذا يدل على طبيعة الحياة الاجتماعية المبنية على التعصب والتشدد في معاملة المرأة والمستمد من تعاليم ديننا الكريم، الذي يوصي المرأة بالمكوث في بيتها.

وتقفل المساجد الصغيرة أبوابها في شهر رمضان بعد صلاة التراويح وأما الكبيرة منها فتبقى مفتوحة حتى وجبة "السحور" أو "الإمساك" الذي يعود معه الصائم الى صومه ثانية[٩٥].

وتقام الصلاة في الأيام الأخيرة من الشهر في أكبر جوامع المدينة وأهمها. وتقع عند المساجد المنسوبة للأنبياء وهي جامع النبي جرجيس، وجامع النبي شيت، وجامع النبي يونس،والمعتاد أن تزين شرفات هذه الجوامع ليلاً بالمصابيح الموقدة ليضفي شعاعها بهجة وسحراً على نفوس القاصدين والمارين. ويجري فيها إحياء المناسبات الدينية الخاصة بالشهر، وهي ذكرى موقعة بدر الكبرى وليلة القدر، وليلة العيد[٩٦].

ففي الليالي الوترية من الثلث الأخير، يحيي الأتقياء المتدينون آخر عشرة أيام من رمضان. وتعرف إحدى هذه الليالي التي حددها الرسول (صلى الله عليه وسلم) في أحد أحاديثه ليلة القدر بإحدى الليالي الوترية التالية: ٢١–٢٣–٢٥–٢٧–٢٩. وهي ليلة السابع والعشرين منه عامة بليلة القدر (أي الليلة السابقة لنهار السابع والعشرين)، واحتفالهم لها أعظم من احتفالهم لسائر الليالي[٩٧]، ويقال أن القرآن أنزل على محمد (صلى الله عليه وسلم) في تلك الليلة. ويؤكدون أن ليلة القدر ﴿ خيرٌ من ألف شهر، تنزل الملائكة والروح فيها بإذن ربهم من كل أمر، سلامٌ هي حتى مطلع الفجر ﴾ [سورة القدر] وتكون أبواب السماء مفتوحة في تلكم الليلة فتقام الصلاة التي لابد أن تستجاب، وفي

هذه الليلة يبقى المصلون في الجامع حتى موعد السحور يصلون ويقرأون القرآن الكريم[٩٨].

وفي الجمعة الأخيرة من شهر رمضان يجري توديع الشهر من على المنائر وسط أسف الجميع وألمهم لإنتهاء هذا الشهر المحبوب لديهم، ويقول المودعون: الوداع..... يارمضان..... الوداع الوداع....يارمضان..... ياشهر الطاعة والغفران[٩٩]. في هذه الجمعة التي يطلقون عليها (الجمعة اليتيمة) فيها يزداد الطعام، ويتصدقون به بالعطاء من مال وغيره على من هم في حاجة إليه، وتفقد الأقارب والارحام[١٠٠].

وفي هذه الايام الاخيرة من رمضان يقوم الناس بإخراج زكاة الفطر التي كان يحسب مقدارها حسب أسعار القمح الدارجة[١٠١]، والتي تقدر سنوياً من قبل المجتهدين في الدين[١٠٢]. وتكون النسوة مشغولة بالإعداد لتنظيف منازلهن وصنع حلويات العيد.

وفي ليلة العيد يكون الناس منذ المساء الأخير من رمضان، يتحركون بدأب كالنمل بين بيوتهم والأسواق، يستكملون ما تحتاجه أسرهم لمظاهر العيد، أو يتجمهرون على الطرق والمرتفعات والسطوح في أنتظار اللحظات لرؤية هلال شوال (هلال العيد)، ومع أول لمحة لخيط نور الهلال، تدوي في الفضاء من كل سطح بيت، التكبير، وتعلو كلمات التوديع لشهر رمضان من المآذن (المنائر) وسطوح المنازل.

الوداع الوداع ياغمضان ياشهر التراويح وعليك السلام[١٠٣]

وتقوم النساء في هذه الليلة بكنس وتنظيف وتبخير بيوتهم، ويفرشون ويرصفون غرف الاستقبال بالمفروشات والأرائك والمقاعد. ويهيئن المحليات (جكليت ولقم وحامض حلو وملبس) وزجاجيات ماء الورد (الكلبدانات[١٠٤]) استعدادا لتكريم زوارهم (المعايدين).

وتسهر ربات البيوت في ليلة العيد منهمكات في تنظيف الأولاد ــ من بنين وبنات ــ ووضع الحناء في أكفهم وأقدامهم، ولفها بقطع (خرق) القماش وشدها كي لاتسقط عجينة الحناء من أكفهم أثناء نومهم، أوتتبعثر على بقية أجسام الأولاد والملابس والفرش فتصبغها بلونها الأحمر الثابت، وآخر من يتحنى هي ربة البيت (أم الأولاد) بعد أن تنهي كل واجباتها، ولتستريح قليلاً، فيما تبقى من سويعات ليلة العيد[١٠٥].

وهكذا يغادر رمضان المبارك وسط أفراح العيد، وبعد أن مارس الناس طقوساً وعادات دينية وأخلاقية كريمة، تعلموا فيها دروساً وعبراً تبقى ملازمة

لهم طيلة حياتهم القادمة، وتبقى الذكريات الجميلة صدى السنين[١٠٦]. ويودعه الأطفال منشدين:

غدا العيد ونعيد نلبس أحواس[١٠٧] السيد[١٠٨]

النتائج والتوصيات

اولاً:- النتائج:-

١. إن عادات وتقاليد المجتمع، والتي تشكل التراث اللامادي له، تعد إنجازات فعلية وخبرات تراكمية لإفراد المجتمع، وهذه العناصر سهلت على المجتمع إمكانية بناء ثقافته المعاصرة.
٢. إحترام الجماعة لتقاليدها وتمسكها بها علامة مؤكدة على مبلغ تضامن الجماعة وحرصها على تحقيق قوتها الذاتية.
٣. أن تتبع إنجازات المجتمع اللامادية المتمثلة بالعادات والتقاليد والمعقدات الشعبية وغيرها من سنن الأدب الاجتماعية يعطينا فكرة عن الأساليب والطرق التي نظم بمقتضاها حياته الاجتماعية في شتى جوانبها ومختلف مجالاتها.
٤. لايمكن فصل عناصر الثقافة المادية واللامادية، لأننا لانستطيع أن نفهم هذين الجانبين من الثقافة بصورة منفصلة أو بصورة مستقلة الواحد عن الآخر وان أي فصل بينهما انما هو لغايات الشرح والتوضيح.
٥. إن العادات والتقاليد الاجتماعية تنسجم تماماً مع الظروف والأوضاع الاجتماعية التي يعيشها المجتمع و تستمر بقوتها طالما أنها تؤدي وظائفها الاجتماعية.
٦. يولد الإنسان في عادات وتقاليد ولدت قبله، تنظم حياته، وقد تتغير بعض الشئ في حياته، ولكنه عندما يموت تستمر هذه العادات في بقائها عن طريق الأجيال اللاحقة له.
٧. للعادات والتقاليد خصائص تميزها، من أبرزها، الاستمرار، والدوام، والميل الى المحافظة، والقابلية للتغيير الذي يولد عادات إجتماعية مستحدثة، تنسجم مع الظروف والأوضاع الاجتماعية المتعددة. ولا يلاحظ اختفاؤها أو تغيرها إلا بعض كبار السن الذين يذكرون الماضي على الدوام ذكراً حسناً.
٨. إن هذه العادات والتقاليد ترسم الأساليب والتصرفات التي تتيح لإفراد المجتمع التعاون والتفاعل بعضهم مع بعض، وتعلمهم كيف يتكيفون مع

المواقف البيئية المختلفة، وكيف يستجيبون لهذه المواقف استجابة موحدة، تجنبهم الصراع والفرقة وتحافظ على تماسكهم.

٩. تأكيد أهمية التقاليد في جميع ميادين الحياة، فهي ((روح الأمة)) فالأم تعد وتقدم الطعام، والأب يهيئ كل المستلزمات الضرورية والثانوية، والتاجر يتجر، والجيران تتواصل،.....كل هؤلاء وغيرهم يعملون بوسائل ورثوها عن تقاليد مجتمعهم.

ثانياً: التوصيات:-

١. اتخاذ الصوم وسيلة للحصول على أغراض نفعية ايجابية، كتعلم التضامن والتماسك بين أفراد المجتمع الواحد، وصفاء الروح وتعلم التسامح والعفو عند المقدرة، وإرغام النفس على سلوك معين فيه كل الخير، وتقديم مصلحة المجتمع على المصلحة الفردية.... وهلم جرا، وهي من أهم ما يحتاج إليها مجتمعنا العراقي في الوقت الحاضر، ليعود إلى طبيعته السابقة القائمة على التسامح والتضامن والألفة.

٢. الدعوة إلى الإحياء والتمسك بالعادات والتقاليد الاجتماعية التي تؤكد على التضامن الاجتماعي وتماسك المجتمع، والتأكيد على العادات الاجتماعية المتشابهة بين الطوائف المختلفة التي تشكل بنية المجتمع العراقي، فبوجود التشابه والتأكيد عليه يولد الحب والشعور بأن دورة الحياة، تدور وفق عادات وتقاليد متشابهة، والمتشابهون بالتالي لايتنافرون ولا يتصارعون.

٣. إن الحاجة لازالت ملحة لدراسة التراث الشعبي العراقي، دراسة تحليلية بقصد الكشف عن جوانب كثيرة في حياة مجتمعنا مازالت مجهولة أو غير معروفة لدى البعض منا.

٤. الدعوة إلى توعية الجماعات المهنية، والعائلية، والجيرة، بالدور والأثر البالغ للعادات والتقاليد الاجتماعية والتي منها (التهنئة بالمناسبات المختلفة، وتبادل الزيارات والاهتمام بأفراح وأحزان الآخرين)، وغيرها في تضامنها وتحقيق قوتها الذاتية.

٥. توجيه الاهتمام من الجهات المعنية، لتكليف المدرسة بتوجيه اهتمام طلبتها بالعادات والتقاليد التقليدية، من خلال مادة اللغة العربية، وعبر حصة الإنشاء، بجعل الطلبة يكتبون في موضوعات، حول عدد من العادات والتقاليد، التي يعيشها التلاميذ مع عوائلهم، ومن ثم توعيتهم بأهميتها ودورها في تنظيم الحياة الاجتماعية.

الهوامش:

١- عبد الباسط محمد حسن، أصول البحث الاجتماعي، ط١، دار غريب للطباعة القاهرة، ١٩٧٧، ص١٢٩.
٢- ينظر: نفس المصدر، ص١٨٨ وما بعدها.
٣- هـ. ب. ريكمان، منهج جديد للدراسات الإنسانية، ترجمة: د.علي عبد المعطي و د. علي محمد علي، ط١، مكتبة مكاوي، بيروت، ١٩٧٩، ص٢٦
٤- صلاح عطية صبيح، العادات الاجتماعية لدورة الحياة في المجتمع الكويتي، ط١، مؤسسة الصباح للنشر والتوزيع، الكويت، ١٩٨٠، ص٢٦.
٥- د. إحسان محمد الحسن، موسوعة علم الاجتماع، ط١، الدار العربية للموسوعات، بيروت ــ لبنان، ١٩٩٩، ص٤٠٤.
٦- د. فوزية ذياب، القيم والعادات الاجتماعية مع بحث ميداني لبعض العادات الاجتماعية، دار النهضة للطباعة والنشر، بيروت،١٩٨٠، ص١٦٢.
٧- د. إحسان محمد الحسن، موسوعة علم الاجتماع، مصدر سابق، ص١٨٤.
٨- أبن منظور الإفريقي، لسان العرب، ج ٩-١٠، طبعة بولاق، الدار المصرية للتأليف والترجمة، ص٢٢.
٩- القيسي: وهو المشمش المجفف، والذي يتم طبخها مع السكر واللوز أو الجوز.
١٠- الكشكا: الحبية، الحنطة المقشورة.
١١- النعيمي: البرغل المجروش ناعماً
١٢- أزهر ألعبيدي، موسوعة الموصل التراثية، المجلد الثاني، مركز دراسات الموصل، ٢٠٠٨، ص٥٦٧.
١٣- دراسة في المجتمع والتراث الشعبي الفلسطيني، قرية ترمسعيا، سلسلة كتب فلسطينية (٤٥)، مركز الأبحاث وجمعية الهلال الأحمر الفلسطينية في الكويت، بيروت ١٩٧٣، ص١٤٩.
١٤- البقلاوة: نوع من الحلويات، التي يتم عملها بشبك العجين بالنشابي وبعدة طبقات داخل صواني كبيرة ويوضع الجوز مع السكر في الوسط، ثم تقطع بشكل معين صغير يسمى (الفال)، ويستخدم الدهن الحر في عملها مع العجين والبهارات.
١٥- لقمة القاضي (عوامي): وهي عجينة خفيفة من الطحين والسكر، تقطع إلى كرات صغيرة وقرص داخل طاوة الدهن فتصبح على شكل كرة منتفخة، وتؤكل مع الشيرة المعمولة من السكر والماء.
١٦- المواعين: الاوآني.
١٧- عبد الكريم محمد الملا، رمضان المبارك في مدينة جنوبية، مجلة التراث الشعبي، العددان الحادي عشر والثاني عشر، السنة الثانية، تموز وآب، ١٩٧١، ص٣١.
١٨- الشال: قماش مصنوع من القطن ويطلق عليه في الموصل (خام الشام).
١٩- أزهر ألعبيدي، موسوعة الموصل التراثية، المجلد الاول، مركز دراسات الموصل، ٢٠٠٨، ص٢٠١.

٢٠- المكبر: وظيفة شخص دينية، يقوم بتلاوة القصائد والتواشيح بألحانها من فوق مئذنة الجامع ليالي الجمع وأيامها ويستقبل رمضان بالتكبيرات وكذا العيدين. وكان يُختارُ من بين الأصوات الجميلة من الذين عندهم إلمام بالألحان والمقامات.
٢١- تقلب الراء غيناً للشفة الغالبة على ألسنة أهالي الموصل والاصل هو "رمضان".
٢٢- جامع النبي جرجيس: موقعه يتوسط المدينة القديمة وتشاهد منارته من بعيد ومن مآذن مساجدها وعلى توقيته يُعتمد في أوقات الصلاة والإمساك والإفطار، ويستعمل في الإشارة إلى هذه المواقيت نهاراً علم أخضر كبير يدور حول المئذنة من حوضها العلوي بدلاً من الفانوس المستعمل ليلاً.
٢٣- نفس المصدر، ص٢٠٠.
٢٤- أزهر ألعبيدي، موسوعة الموصل التراثية، المجلد الثاني، مصدر سابق، ص٥٦٧.
٢٥- عبد الكريم محمد الملا، رمضان المبارك في مدينة جنوبية، مصدر سابق، ص٣١.
٢٦- نفس المصدر، ص٣٢.
٢٧- أزهر ألعبيدي، موسوعة الموصل التراثية، المجلد الأول، مصدر سابق، ص٢٠٠.
٢٨- يطلقون على أول يوم في الأشهر الهجرية ((غرة)) الشهر.
٢٩- دراسة في المجتمع والتراث الشعبي الفلسطيني، مصدر سابق، ص١٥٠.
٣٠- د. حسن عيسى علي الحكيم، الاحتفال الجماهيري في بغداد في العصر العباسي الثاني، مجلة التراث الشعبي، العدد الفصلي الثاني، ربيع ١٩٨٧، ص٩٥.
٣١- عبد الكريم محمد الملا، رمضان الكريم في مدينة جنوبية، مصدر سابق، ص٣٧.
٣٢- إدوارد وليم لاين، عادات المصريين المحدثين وتقاليدهم، ترجمة: سهير رسوم، ط٢، مكتبة مدبولي، القاهرة، ١٩٩٩، ص٤٨٩.
٣٣- د. نجمان ياسين، الحياة الاجتماعية، موسوعة الموصل الحضارية، المجلد الثاني، ط١، مطابع جامعة الموصل، ١٩٩٢، ص٣٣٤.
٣٤- أزهر ألعبيدي، الموصل أيام زمان، ط٢، دار الكتب للطباعة والنشر، ١٩٩٨، ص١٧٢.
٣٥- نفس المصدر، ص١٧٢.
٣٦- أزهر ألعبيدي، موسوعة الموصل التراثية، المجلد الثاني، مصدر سابق، ص٥٦٨.
٣٧- والملاحظ كثرة الحمامات الموصلية التي كانت موجودة ولاتزال على الرغم من صغر المدينة التي كانت داخل السور، ولعل السبب يرجع إلى كون الموصل مركزاً تجارياً يصل الشرق بالغرب، فالمار من الشام إلى الشرق قلما لايمر فيها، والمار إلى الغرب من الهند وفارس وخرسان لايجد منفذاً بدونها، وطبيعي أن المسافر حين ينزل الموصل يحتاج الى الحمام فكانت كثرة هذه الحمامات هي الملجأ الوحيد لهؤلاء النزلاء للاستحمام.
٣٨- نفس المصدر، ص٥٦٨.
٣٩- أزهر ألعبيدي، موسوعة الموصل التراثية، المجلد الأول، مصدر سابق، ص٢٠٣.
٤٠- عبد الكريم محمد الملا، رمضان الكريم في مدينة جنوبية، مصدر سابق، ص٣٩.
٤١- أزهر ألعبيدي، موسوعة الموصل التراثية، المجلد الثاني، مصدر سابق، ص٥٦٩.

٤٢- عبد الكريم محمد الملا، رمضان الكريم في مدينة جنوبية، مصدر سابق، ص٣٧.
٤٣- السماق: طعام من الكبب الصغيرة ومرق السماق الحامض.
٤٤- اللبنية: طعام من اللبن المطبوخ مع الخضراوات.
٤٥- الكشك: طعام من سيقان الشلغم والخميرة والحبية.
٤٦- الزبيبية: طعام من الدبس والزبيب والقسب واللوز والكشمش والتين.
٤٧- الحميس: طعام من اللحم المقلي بالسمن.
٤٨- المخللا: الطرشي الأحمر المصنوع من الشلغم والشوندر الأحمر.
٤٩- أزهر ألعبيدي، شهر رمضان في الموصل، مجلة التراث الشعبي، العدد الأول، السنة ٢٠٠٠، ص٨٢.
٥٠- عبد الكريم محمد الملا، رمضان الكريم في مدينة جنوبية، مصدر سابق، ص٣٧.
٥١- أزهر ألعبيدي، شهر رمضان في الموصل، مصدر سابق، ص٨٢.
٥٢- باسم عبد الحميد، عادات وتقاليد الحياة الشعبية العراقية، كتاب التراث الشعبي (١)، دار الشؤون الثقافية العامة، العراق، ١٩٨٦، ص١٤٦.
٥٣- أحماها: أهل الزوج.
٥٤- أزهر ألعبيدي، موسوعة الموصل التراثية، المجلد الثاني، مصدر سابق، ص٦٨.
٥٥- أزهر ألعبيدي، الموصل أيام زمان، مصدر سابق، ص ١٤٢.
٥٦- أزهر ألعبيدي، شهر رمضان في الموصل، مصدر سابق، ص٨١.
٥٧- إن احترام الأب وتمجيده لاشك يرجع غالباً إلى أوامر العرف، وليس كله قائماً على العاطفة.
٥٨- عبد الكريم محمد الملا، رمضان في مدينة جنوبية، مصدر سابق، ص٣٧.
٥٩- هذا ما تم تأكيده للباحثة من قبل عدد من كبار السن والذين ما زالوا أحياء في مدينة الموصل.
٦٠- أزهر ألعبيدي، الموصل أيام زمان، مصدر سابق، ص١٧٢.
٦١- اقعدوا: أنهضوا.
٦٢- نفس المصدر، ص١٧٢.
٦٣- رحلة أبن جبير، دار بيروت للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٦٤، ص١٢٣.
٦٤- الإمام أبي حامد محمد بن محمد الغزالن، المجلد الخامس، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت – عمان، ب- ت، ص١٧٢.
٦٥- أزهر ألعبيدي، موسوعة الموصل التراثية، المجلد الثاني، مصدر سابق، ص٥٦٩.
٦٦- نفس المصدر، ص٥٦٩.
٦٧- أزهر ألعبيدي، موسوعة الموصل التراثية، المجلد الأول، مصدر سابق، ص٢٠٦.
٦٨- أ.د. عماد عبد السلام رؤوف، مظاهر الحياة الاجتماعية، موسوعة الموصل الحضارية، المجلد الرابع، دار الكتب للطباعة والنشر، الموصل، ١٩٩٢، ص٢٨٩.
٦٩- السمر: وهي نوع من الحكايات المقصورة على تزجيه الفراغ، أطلقوا عليها مصطلح "السمر" و " الاسمار" التي تتردد في مجالس الخاصة والعامة على السواء، ولايفتش فيها عن الجانب الواقعي وإنما يتلمسون الطريف والعجيب والمثير

للخيال، ويكون الغرض منها ملئ الفراغ بالطريف الممتع اوالتندر فوظيفتها التسلية والترفيه.

٧٠- ففي وقت لم تكن فيه وسائل التسلية الحديثة كانت " الحكاية " الوسيلة الأفضل لتسلية الناس والترفيه عنهم.

٧١- ينظر: نجلاء عادل حامد، المضامين الاجتماعية للحكاية الشعبية الموصلية / دراسة اجتماعية – تحليلية، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة الموصل، كلية الآداب، قسم علم الاجتماع، ٢٠٠٨، ص٤٣-٤٥.

٧٢- أما التمثيل الذي أطلق عليه أسم ــ خيال الظل ــ وكان يضم معالجة ونقداً للظواهر السياسية والاجتماعية والاقتصادية من خلال السخرية، والممثل في مسرح الظل كان فناناً شمولياً يكتب النص ويضع موسيقاه ويعين أزياء الشخصيات بنفسه، ويشترك في الأداء والتمثيل والإخراج.

٧٣- عبد الكريم محمد الملا، رمضان المبارك في مدينة جنوبية، مصدر سابق، ص٣٥.

٧٤- ادوارد وليم لاين، عادات المصريين المحدثين وتقاليدهم، مصدر سابق، ص٤٩١.

٧٥- عبد الكريم محمد الملا، رمضان المبارك في مدينة جنوبية، مصدر سابق، ص٣٥.

٧٦- أزهر ألعبيدي، موسوعة الموصل التراثية، المجلد الثاني، مصدر سابق، ص٥٦٨.

٧٧- أزهر ألعبيدي، موسوعة الموصل التراثية، المجلد الأول، مصدر سابق، ص٢٠٤.

٧٨- عبد الكريم محمد الملا، رمضان المبارك في مدينة جنوبية، مصدر سابق، ص٣٥.

٧٩- نفس المصدر، ص٣٥.

٨٠- أ.د. عماد عبد السلام رؤوف، مظاهر الحياة الاجتماعية، مصدر سابق، ص٢٨٧-٢٨٩.

٨١- عبد الكريم محمد الملا، رمضان المبارك في مدينة جنوبية، مصدر سابق، ص٣٦.

٨٢- عبد الله رشيد، ملامح الحياة الشعبية في مدينة عمان ١٨٧٨ – ١٩٤٨م، مطابع شركة دار الشعب، عمان، ١٩٨٣، ص١٩٨.

٨٣- أزهر ألعبيدي، موسوعة الموصل التراثية، المجلد الأول، مصدر سابق، ص٢١٠.

٨٤- الخازوق: القازوق، عمود من الخشب يثبت بالأرض يجلس عليه الشخص الذي تنفذ به العقوبة في عهد الحكم العثماني.

٨٥- عقبي: العقرب.

٨٦- أزهر ألعبيدي، موسوعة الموصل التراثية، المجلد الثاني، مصدر سابق، ص٥٦٧.

٨٧- نفس المصدر، ص٥٦٩.

٨٨- عانة: أي الآنه ومقدارها أربعة بيات والبية تعادل الفلس وهي عملة هندية استعملت في العراق أبان الاحتلال الانكليزي والى سنة ١٩٣٢ عندما ظهرت العملة العراقية.

٨٩- أزهر ألعبيدي، موسوعة الموصل التراثية، المجلد الاول، مصدر سابق، ص٢١١.

٩٠- أزهر ألعبيدي، موسوعة الموصل التراثية، المجلد الثاني، مصدر سابق، ص٥٦٨.

٩١- دراسة في المجتمع والتراث الشعبي الفلسطيني، مصدر سابق، ص١٤٩.

٩٢- رحلة ابن بطوطة، دار الاحياء للطباعة والنشر، ودار بيروت للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٦٤،ص١٦٦.

٩٣- وللختمة احتفال خاص يقام للأولاد الخاتمين للقرآن، على شكل مسيرة تبدأ من الملا الي بيت (الخاتم) مارين بالطرقات والعوجات، وفي هذا اليوم يلبس الأولاد ثياب الأعياد ويلبس الخاتم دشداشة بيضاء جديدة وعقجين معلق به قطعة ماشاء الله وعفصة، ويتقدم الموكب أحد الصناع يحمل على رأسه رحلة خشبية فوقها القرآن مفتوحاً ومغطى بقطعة قماش خضراء مزركشة من الحرير، ثم يسير وراءه حاملوا الاعلام الدينية وبعدهم الضاربون على الطبول والناقرون على الدفوف، ويسير الخاتم بين أثنين من زملائه الذين سيعقبونه في ختم القرآن، ثم يسير بعده الملا ووراءه الخلفة يدعوا دعاء الختمة وخلفه الأولاد يردون عليه (آمين)، وعند وصول الموكب الى دار الخاتم تستقبله النساء بالهلاهل، ويقدم والده هدية الى الملا مثل جبة جديدة من القماش الجيد ومبلغاً من المال.

٩٤- أزهر ألعبيدي، موسوعة الموصل التراثية، المجلد الاول، مصدر سابق، ص٢١١.

٩٥- أ.د. عماد عبد السلام رؤوف، مظاهر الحياة الاجتماعية، مصدر سابق، ص٢٨٩.

٩٦- رحلة ابن بطوطة، مصدر سابق، ص١٦٧.

٩٧- أزهر ألعبيدي، موسوعة الموصل التراثية، المجلد الثاني، مصدر سابق، ص٥٦٨.

٩٨- نفس المصدر، ص٥٦٩.

٩٩- عبد الكريم محمد الملا، رمضان المبارك في مدينة جنوبية، مصدر سابق، ص٣٤.

١٠٠- عبد الله رشيد، ملامح الحياة الشعبية في مدينة عمان ١٨٧٨ – ١٩٤٨م، مصدر سابق، ص٢٠٠.

١٠١- أزهر ألعبيدي، موسوعة الموصل التراثية، المجلد الأول، مصدر سابق، ص٢١١.

١٠٢- عبد الكريم محمد الملا، رمضان المبارك في مدينة جنوبية، مصدر سابق، ص٤٠.

١٠٣- أزهر ألعبيدي، موسوعة الموصل التراثية، المجلد الأول، مصدر سابق، ص٢١١.

١٠٤- الكلبدان: وعاء طويل العنق مخروطي الشكل مستورد، يصنع من معدن لماع او من الزجاج. وتنقش عليه نقوش جميلة، يستعمل لحفظ ماء الورد الذي يرش على الضيوف في حفلات الزواج والطهور وفي المآتم له غطاء من الأعلى مثقب.

١٠٥- عبد الكريم محمد الملا، رمضان المبارك في مدينة جنوبية، مصدر سابق، ص٤٠.

١٠٦- أزهر ألعبيدي، موسوعة الموصل التراثية، المجلد الثاني، مصدر سابق، ص٥٦٨.

١٠٧- حواس: ثياب أو ملابس.

١٠٨- د. حسن عيسى، الاحتفال الجماهيري في بغداد في العصر العباسي الثاني، مصدر سابق، ص٩٥.